SIBAWAYH Arabic Language and Education Volume 6 Issue 1 2025
eISSN 2716-5515 (78-94)

خصائص المدح النبوي عند الشيخ إبراهيم عبد الله إنياس دراسة تحليلية

Analytical Study of Characteristics of Sheikh Ibrahim's Eulogy for Prophet Muhammad

Abdullahi Alhaji Yakub, Ahmad Dam Diop*
University of Ilorin, Nigeria
*Corresponding author: ahmad.dd@unilorin.edu.ng

Received: 10 Oct 2024, **Revised:** 31 Jan 2025, **Accepted:** 14 Feb 2025, **Published:** 30 Jun 2025

To cite this article (APA): Alhaji Yakub, A., & Dam Diop, A. (2025). خصائص المدح النبوي عند الشيخ إبراهيم عبد الله إنياس دراسة تحليلية: Analytical study of characteristics of Sheikh Ibrahim's Eulogy for Prophet Muhammad . *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *6*(1), 78-94. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol6.1.6.2025

Link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol6.1.6.2025

الملخص

يعدّ المدح النبوي من الأغراض الشعرية الشائعة بين الشعراء المسلمين منذ عصر صدر الإسلام إلى يومنا هذا، وكان لكل شاعر طريقته وأسلوبه في المدح والتعبير عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. والشيخ إبراهيم إنياس من أبرز الشعراء المادحين للرسول صلى الله عليه وسلم في القرن العشرين وذلك لأسلوبه وخصائصه المدحية المتميزة. فهذه المقالة تسعى لدراسة خصائص المدح النبوي عند الشيخ إبراهيم إنياس وإبراز ما يميزه عن غيره من المادحين، وما جعل صيته عالية بينهم وعمت الآفاق. وتنهج المقالة المنهج التحليلي لتحقيق الغاية المنشودة من الدراسة. وفي آخر المطاف استطاعت المقالة أن تثبت للقراء أن خصائص المدح النبوي عند الشيخ إبراهيم إنياس متميزة بميزة خاصة لم يسبقه إليها غيره، فهو منفرد فيها ومتفوق بها، وتلك الخصائص هي: تحديته للمادحين، وظهور شخصيته في المدح، وتضمين الدعاء في المدح، وتخلل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أثناء المدائح، وإيراد الأفكار الصوفية في المدح.

الكلمات المفتاحية: خصائص، المدح النبوي، الشيخ إبراهيم، دراسة تحليلية

Abstract

Eulogy for Prophet Muhammad has become one of the numerous poetic themes among Muslim poets since the Islamic era. Each poet with his style and method of expressing his feelings about the personality of Prophet Muhammad. Sheikh Ibrahim Nyas is one of the popular poet that composed Eulogy for Prophet Muhammad in the last century. This paper, therefore, study the characteristic of his Eulogy for the Prophet and look into styles and colors that made his Eulogy for the Prophet different and special from that of other poets. The analytical method was adopted in this paper to establish those styles and colors that are unique to him. The paper was able to establish that Sheikh Ibrahim's eulogy for the Prophet was characterized with the following features that are common to him among other poets: challenging other poets,

showingcasing his personality, including prayers, embedding solat for the Prophet and featuring Sufis ideologies in his eulogy.

Keywords: Analytical study, characteristics, eulogy of Prophet Muhammad Sheikh Ibrahim

المقدمة

تفرع المدح النبوي من غرض المدح منذ بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرع الشعراء المسلمون في توظيف موهبتهم الشعرية لنصرة الإسلام ورسوله الكريم فمدحوا الرسول بالأخلاق الفاضلة وبالدعوة إلى الله والصراط المستقيم وبالقرآن وشرائع الإسلام. ثم استقل المدح النبوي في عصر المماليك حيث نبغ شعراء قرضوا قصائد برمتها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لكل شاعر منهجه وأسلوبه وخصائصه. ويعتبر الشيخ إبراهيم انياس ممن له القدح المعلى في المدح النبوي وذلك لخصائصه وطريقته في المدح، نلاحظ تلك الخصائص والطريقة جلية في مدائحه، لذلك تسعى هذه المقالة إلى دراسة خصائص الشاعر في المدح النبوي، وهي تتمثلفي تحديات الشاعر للمادحين وظهور شخصيته في المدح والتضرع إلى الله بالدعاء في المدح، وتخلل الصلاة على النبي المدائح والإتيان بالأفكار الصوفية في المدائح. ولعل دراسة تلك الخصائص تفتح صفحة جديدة من أساليب المدح النبوي التي تميز بها هذا الشاعر العظيم. ولضيق نطاق هذه المقالة نكتفي بعرض النماذج من الديوان الأول من بين الدواوين الست للشاعر.

نبذة عن نشأة المدح النبوي وتطوره

كانت الجاهلية والعصبية القبلية تسيطر معظم المجتمع العربي ،وكان الشعر عاملا من أهم عوامل نشرها بين القبائل ورفعها إلى الحروب الدامية ، وكان شعر المدح أكثر انتشارا، ولما ظهر الإسلام وحارب الجاهلية والعصبية القبلية، ودعا إلى الألفة والوحدة تحت الإيمان والإسلام والإحسان ،وبدأ الناس يدخلون فيه ويتبعون الرسول ويدافعون عنه بأسلحتهم. قام بعض الشعراء المشركين من قريش يهجون الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم بقصائدهم ؛ أمثال عبد الله بن الزبغري وعمرو بن العاص، فلما اشتد الهجوم، قال الرسول للصحابة :"ماذا يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم" (ابن بطل، ٢٠٠٥م، ١١٦) نهض بعض الشعراء من المسلمين فيهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ينظمون القصائد يهجون فيها المشركين ردّا عليهم ويدافعون بها عن الإسلام وينصرون الرسول ويعددون فيها محاسن الإسلام وصفات الرسول الخَلقية والخُلقية تمجيدا له وتعظيما. يمكن أن تكون هذه الحركة الشعرية بداية نشأة المدح النبوي الذي يعني شعرا وجدانيا يهتم بذكر صفاته الخَلقية والخُلقية كالشجاعة والصدق والأمانة والكرم والشرف والعزة والرأفة، وكذلك ذكر معجزاته، وإظهار المحبة والشوق لرؤيته وزيارته والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته ونظم سيرته والإشادة بغزواته (حمداوي، ٢٠٠٧م، ١١)،استمر

هذا الشعر خلال عصر صدر الإسلام والخلفاء الراشدين للدفاع عن الإسلام ونصرة الرسول والمسلمين ،وكانت المرثيات النبوية تصاحبه بعد وفات النبي .

وتحول المدح النبوي في العصر الأموي والعباسي شعرا أدبيا تظهر فيه ضروب الزخرف بالبديعيات والصور البيانية، والأفكار الفلسفية والصوفية، وكذلك المديح السياسي لدعم الأمراء والقادة ، وتشييع آل البيت. ثم تطور إلى مصطلح أدبي، واستوى على سوقه في عصر الدول والمماليك والإمارات المتتابعة تحديدا في القرن السابع الهجري، وحصل على الاستقلال استقلالا صرفا تنظم له قصائد مستقلة عنه من العصر محمد بن سعيد البوصيري (١٢١٢-١٢٩٦م) إلى العصر الحديث (الجراري، ١٩٧٨، ١٤١) .

نبذة عن حياة الشاعر العلمية

ولد الشيخ إبراهيم يوم الخميس ١٥من شهر رجب الفرد١٣٢٠هـ ١٧ أكتوبر١٩٠٠م في قرية طيبة ،أسسها والده للزراعة وتربية أسرته وتلاميذه ، وتبعد القرية عن كولخ بخمسين كلومتر تقريبا ،تتوفر فيها حاليا علامات الحضر بفضل الله ثم ببركات الشيخ إبراهيم. "نشأ الشيخ في حجر والده رضي الله عنهما،ذا عفاف وديانة وتقى ومروؤة وصيانة وأدب وورع، وقرأ عليه القرآن حتى حفظه حفظا جيّدا برواية ورش عن نافع يافعا،وقد ظهرت منه النجابة في صغره، ثم شمّر عن ساعد الجدّ والاجتهاد في تحصيل العلوم الرسمية المنطوق منها والمفهوم ،حتى استفاد وأفاد وبلغ فيها المنى والمراد ،وتبحر فيها وتفتن بجميع فنونها،حائزا قصب السبق في أقرب مدّة ،وأقامه الله رحمة للعباد ونفعا لكلّ حاضر وباد، وتولى تعليمه والده المذكور ذو القدم الراسخ والصيت المشهور، حتى تلقى منه بحمد الله فوائد الفوائد،وصلات الأسرار والأذكار، ثم فتح الله عليه فتحا تاما وأعطاه علوما وهبية لدنية حتى تضلع منها (الكولخي ، ١٩٥٢م : ٤).

أنشطته التعليمية والدعوية

ولما توفي والده سنة ١٩٢٢م شمر الشيخ على ساعد الجّد في نشر العلم والعمل به والدعوة إلى الله ونصرة الإسلام على أسس الكتاب والسنة على وجه صحيح، وقد قام برحلات عديدة داخل وطنه وخارجه للدعوة والإرشاد وأدخل في الإسلام عددا كبيرا،وقد أدى الشيخ فريضة الحج أوّل مرّة عام ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين للهجرة (١٣٥٥هـ) ولقد منّ الله له بالوفادة إلى بيته الحرام عدة مرات حجا وعمرة .(تيام ،٢٠٠٢م:٧٦)، وكان الشيخ متصوّفا وتمسكا بالطريقة التيجانية، وقد رسمها رسما دقيقا في كتابه كاشف الألباس ، وتحدث في فصله الأول عن التصوّف وأصل تلقين الأذكار . نقلا عن آراء بعض العلماء. (الكولخي ، ١٩٥٢م : ٢٦)

وفي عام ١٣٤٨هـ الموافق ١٩٢٩م أعلن الشيخ إبراهيم الفيضة التيجانية التي قال عنها الشيخ أحمد التيجاني: "تأتي فيضة على أصحابي حتى يدخل الناس في طريقنا أفواجا أفواجا تأتي هذه الفيضة والناس في غاية ما يكونون عليه من الضيق والشدة "وكان يعني بالفيضة ان يكثر الفتح على أصحابه لذلك تمناها كثير من شيوخ عصره، ولكن أقروها للشيخ إبراهيم .(تيام ،٢٠٠٢م :١٦)

ولما انشرت دعوته وكثر أتباعه وضاق مكانه انتقل في عام ١٣٤٨هـ الموافق ١٩٣٠م من مسكن والده في حيّ لِوْنَ داخل كولخ إلى بقعة واسعة شمال كولخ ليستقر فيها هو ومن لبى دعوته من الخلق،فسماها بالمدينة تبركا بالمدينة المنورة ،فأقام على أرضها المسجد الجامع الكبير، والمصلى الكبير للأعياد الدينية كالأضحى والفطر ،وأسس جنب داره مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، ثم أسس المعهد لتعليم العلوم العربية والإسلامية لأبناء المسلمين جميعا سماها معهد الحاج عبد الله، وكان الشيخ إماما ومعلما الكتاب والسنة والأدب و أساليب التعليم والإرشاد بالفصاحة والبلاغة والبراعة، فقد كان غيره طفيلي مائدته فيها، وشهد له بذلك أدباء هذا الزمان،وكان بيده زمام جميع العلوم العقلية والنقلية ،وبجهوده وجهود أتباعه صارت المدينة مركزا دينيا وعلميا وثقافيا، وقلعة علمية تخرج منها العلماء الفقهاء والأدباء الشعراء يستفيد بهم الناس من داخل السنغال وخارجها (الكولخي، ١٩٥٢م : ٥).

وقد توفي الشيخ إبراهيم انياسيوم الأحد ٢٧ يوليو، ١٩٧٥ في لندن، المملكة المتحدة بعد ما قدم خدمة ثمينة في مجال التعليم والتربية (أبا غوني، ٢٠٢١م:٢٢٥).

مؤلفات الشيخ

بدأ الشيخ إبراهيم التأليف منذ عشرين من عمره ،وله مؤلفات كثيرة في النثر والشعر والخطب والرسائل، فمن كتبه النثرية :

١. في رياض التفسيرللقرآن في ستة الأجزاء، كتبها وخرج أحاديثها :محمدبن الشيخ عبد الله التجاني، مساعدة الولدين الأستاذين أحمد بن الشيخ عبد الله و الشيخ باي بن أحمد
٢. كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس (يعتبر فقه الفيضة والطريقة)
٣. السر الأكبر والنور الأبهر
٤. الحجة البالغة في كون إذاعة القرآن في الرديو سائغة
٥. رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام.
٦. تحفة الأطفال في حقائق الأفعال في الصرف
٧. سبيل السلام في إبقاء المقام.
٨. تنبيه الأذكياء في كون الشيخ أحمد التيجاني خاتم الأولياء.

٩. تبصرة الأنام في جواز رؤية الباري في اليقظة والمنام .
١٠. تحفة الحاضرة في مناسك الحج لاسيما في الطائرة .

وفي الشعر والنظم:

١. الدواوين الستة.
٢. نور البصر في مدح سيّد البشر.
٣. روح الأدب لما حوى من حكم وأدب.
٤. طيب الأنفاس في مدح الختم أبي العباس .
٥. إرشاد السارين إلى عدم زكاة الهَارِينْ (حبّة السودان).
٦. روح الحبّ في مدح القطب.
٧. النور الرباني في مدح سيد العارفين.

وفي الرحلات فتشتمل على:

١. الرحلة الحجازية (الحجة الأولى) شعر ونثر.
٢. نيل المفاز في العود إلى الحجاز (نظم).
٣. الرحلة الكناكرية (غينيا) نظم.
٤. الرحلة الكماشية (غانا) نظم.
٥. الرحلة الكنارية (موريتانيا) نظم.

وغير هذه من القصائد للمناجات والأدعية، وهكذا عاش الشيخ إبراهيم في خدمة العلم وإرشاد الخلق وتربيتهم تربية سليمة (الكولخي، ١٩٥٢ :٦).

خصائص الدح النبوي عند الشاعر

الاعتداد بالمعاني المدحية

خلال دراستنا لمدائح الشيخ إبراهيم انياس للنبي صلى الله عليه وسلم أدركنا اعتداده بالمعاني المدحية التي يسوقها من حين إلى حين، حيث يثبت للسامعين خبرته وتعمقه في الفن، كما يؤكد سبقه لغيره من المداحين، بل يبلغ منه الشوق الموقف المؤدي إلى تحدية المداحين وتعجيزهم في قضايا الشوق والحب والمدح والعلاقة بجناب الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول الشاعر:

فمن رام دركي في اشتياق نبينا فقد رام أمرا مستحيلا محرما
كمن رام مسك البدر يوما بأصبع ومن رام عود الأمس يوما وأيوما

يثبت الشاعر في البيتين معتدا بأن إدراكه أو سبقه في قضية الشوق والمدح للنبي صلى الله عليه وسلم أمر غير هين، بل أمر مستحيل لمن أراد ذلك. ولإثبات هذا الدعوى والاعتداد أتى الشاعر بصورتين جميلتين متمثلتين في التشبيه التمثيلي، أحدهما هو تشبيه من أراد إدراكه أو سبقه في مجال الشوق للنبي صلى الله عليه وسلم بمن يحاول الركوب إلى السماء ليمسك البدر بأصبعه وتشبيهه مرة ثانية بمن يريد إرجاع الأمس لقضاء المآرب فيه، وكلا التشبيهين أمر مستحيل.

ويصرّح الشاعر مرة أخرى أن المادحين عجزوا عن إدراكه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه، إذ بينه وبينهم مسافة طويلة لا تدرك بل يرى أن مدائحه للرسول صلى الله عليه وسلم عديمة مثل، وذلك في قوله:

ورتبة المادحين قصيـــــــرة عن إدراك ما عندي فسبقي يرسخ
فبيني وبين المادحين سرابخ وعـــــــــور فما جيبت لمدحي سربخ
فشعري أوصاف الأمين وإنها عديمة كفؤ فهو أحمد يصرخ
(الكولخي، ٢٠٠٨:٣٠)

وإذ يلقى الشاعر قوله في الاعتداد بمعانيه المدحية وتحديته للمادحسين وتعجيزهم يسوق معه المعاني التبريرية لموقفه، منها قوله:

فوقتي وساعاتي صرفت لذكره صلاة ومدحا حيث قد صرت جيلما
(الكولخي، 2008: 8)

فجميع أوقات الشاعر وساعاته معمورة بذكر الرسول ومدحه، لم يجد منها فراغا لشغل آخر. ومن المبررات قوله:

فوالله ما في القلب حظ لغيره فغير رسول الله ليس لتعلما
(الكولخي،٢٠٠٨: ٩)

يقول الشاعر إنه ليس في قلبه الحب لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يقر أن القلب لم يعرف غيره فيحبه، إذ العلم بشيء يسبق الحب له، ولذلك أتى بالقسم في البيت لإثبات هذا الدعوى، ويأتي مؤكدا لمعنى البيت الماضي قوله:

أتاني هواه قبل أن أعرف الهوى صليت بنيران اشتياقي لأحمدا

(الكولخي،٢٠٠٨: ١١)

فقلب الشاعر لم يعرف حب غير الرسول صلى الله عليه وسلم، وحتى لو فرض أنه يحب غيره، فإن حب الرسول يسبق حب غيره، فحب الغير في معنى الاضمحلال والذوبان تجاه حب الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومما يعتد به الشاعر في قضية الحب للرسول صلى الله عليه وسلم أن حبه له خالط جسمه وكيانه، بل لا يمكن فصل هذا الحب عن كيانه، فصار الحب والشاعر شيئا واحدا، فهو كيانه كله وجزؤه وسره وعلانيته كما هو راحته وروحه، إذ يقول:

هوى المصطفى المختار خالط مضمري وكلي وجزئي فهو سري ومظهر

(الكولخي، :٢٠٠٨.:١٤)

وترداد ذكر المصطفى الدهر راحتي وروحي وروحي سامعا ومسمعا

(الكولخي، :٢٠٠٨.:١٨)

وقد وشى الشاعر البيتين بألفاظ ذوات معاني التضاد وذوات الأجراس المتكررة لتضفي على المعاني جمالا وعمقا في النفوس والأسماع، حيث تلحظ التضاد بين كلي وجزئي، وبين سرى ومظهرى، والتجنيس في رُوحي ورَوحي- وفي - سامعا ومسمعا.

شخصية الشاعر في المدح

تتجلى شخصية الشاعر في أبياته ومعانيه المدحية، فلا تصدر منه الأفكار والمعاني منعزلة، بل مرتبطة بشخصيته، حيث يلاحظ استعماله الضمائر المتصلة الدالة على المتكلم، كضمير تاء الفاعل الوارد في أبياته:

أبيت بليل التّمّ سهران منشدا لذكر الذي قد طاب بدءا ومختما
(الكولخي،٢٠٠٨م :٧)

بليت بحب المصطفى الختم أحمدا أبى الكون والأخلاق فرعا ومحتدا
(الكولخي، ٢٠٠٨،: ١٠)

زممت ركاب الشوق أنحو المجمعا به جمع الله المفاخر أجمعا
(الكولخي، ٢٠٠٨م: ١٧)

ظعنت وقدت الخلق بالمدح ألفظ بحب رسول الله والعهد أحفظ
(الكولخي، ٢٠٠٨م.: ٣٥)

وأحيانا يستعمل ضمير ياء المتكلم أو همزة المضارع لإظهار شخصيته وربطها بالمعاني المدحية، نحو قوله:

قلامي ونفسي قد خدمت لذكره بذكر رسول الله أعلو وأرتقي
ألا ليت شعري كيف عهدي عنده فـــــــإن له عندي لعهد موثق
حلفت له بالذات إني أحبه ودادا صفيا فهو نهجي ومودقي
(الكولخي، ٢٠٠٨م : ١١-١٢)

وعندما تقرأ أبيات الشاعر على هذه الشاكلة تضطر إلى الاستفسار عن قائله لشخصيته الظاهرة في الأبيات. وأما المتذوق لمدائحه فيعرفه بهذه الطريقة. وربما يعد ظهور شخصية الشاعر في المدائح من أوضح خصائصه المدحية وهو من دلائل قربه من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعرفه على شخصيته صلى الله علسه وسلم.

الدعاء في المدح

إذا تتبع القارئ مدائح الشيخ للنبي صلى الله عليه وسلم يجدها مشتملة على التضرع إلى الله بالدعاء لجلب الخيرات أو دفع الشرور، وربما السبب في ذلك هو اعتباره رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة إلى الله تعالى فيرى أن يتضرع

إلى الله تعالى خلال مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم ليكون ذلك عونا في الاستجابة. ومن أمثلة دعائه خلال مدحه جلبا للخيرات قوله:

أيا بر يا كافي بجاه نبيـــــــــــنا لترزق عبدا ما يروم وترشدا
لتكفي عنا واكفنا الدهر سيدي جميع شرور قد قضيت وأيّدا
ومد صفاتي من صفاتك سرمدا وكمّل لعرفاني وعلمي وسدِّدا
وتبصرني والمنتمين لحـــــــــزبنا مناهج حق الحق دهرا مؤبَّدا
وتهديني من نهج الرشـــــاد أئمة لأهل التقى والفوز جندا مجنَّدا

(الكولخي،٢٠٠٨م .: ١١)

ويدعو الشاعر ربه لنفسه وأصحابه وأحبابه بالقربة إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ويجعلهم الله تعالى أئمة للمتقين ويكتب لهم الغنى والنجاة من البلاء، ويسأل الله الهداية للماردين في الدين وزيادة اليقين لأصحابه:

فيا رب فاجعلني لديه مقـــربا وصحبي وأحبابي ومن كان موصلا
وتـــــجعلنا للمتقـــــين أئمة إلى أبد الآباد سيبا مرسَّـــــــــــلا
وليّن صخور الماردين وهـــدَّها وقوِّ يقين المتقين ذوي العـــــــــلا
وأغن فقير المنتمين لحزبنا ونج جميع المؤمنين من ابتلا
ترقيهم يا رب بالشكر دائما فإنك ملجأ العاجزين مجلَّلا
أيا ربنا من جنده الدهر غالب ولو ضعفت آراؤهم يا مؤمَّلا

(الكولخي، 2008 : ١٣-١٤)

ويطلب الشاعر من الله تعالى أن يكف عنه كيد الأعداء ولا يشمتهم به وبأصحابه في قصيدة معنونة بحرف الفاء قائلا:

فيا رب فاجعلني له الدهر خادما وكف عنا يا رب كيد المعارف
ولا تشمت الأعداء يوما بواحد فأنت جميل قادر ذو المصارف

(الكولخي، ٢٠٠٨: ١٥)

ويقول في قصيدة ذات روي الزاء سائلا الله أن يكفيه من شر كل ذي اللمز والهمز وينصره على كل مارد:

فحسبي إلهي والأمين فمن يكن بربي فيكفف شر ذي اللمز والهمز
أيا رب فانصرني على كل مارد فيندم ذو ميل عن الحق والعز
(الكولخي، ٢٠٠٨.: ٢٠)

ويأتي الشاعر بكناية في دعائه حين يسأل الله تعالى أن يهديه وأصحابه إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهجه قائلا:

فيا رب فاسلك بي وحزبي صراطه ولو كان قبض الجمر في قفو نهجه
(الكولخي، ٢٠٠٨.: ٢٥)

فقوله: كان قبض الجمر في قفو نهجه كناية عن الشدائد والعوائق التي تعترض سبيل الإنسان حين يسعى في المطالب وتحقيق الأماني.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المدح

اشتهر شعراء المنطقة الأفريقية بتخليص قصائدهم في المدح النبوي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أسلوب قلّما يشذّ عنه شاعر منهم، فهذا الشاعر مع كثرة قصائده المدحية في الديوان فإنه ينهي كلا منها بالصلاة، وعلاوة على ذلك تتخلل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أبيات قصائده المدحية قبل وصوله إلى نهاية القصيدة. فهو خلال مدحه للنبي إما مثنيا عليه أو مصليا أو مناجيا أو داعيا. ومن نماذج تخلل الصلاة أبيات مدائحه قوله:

فإن رسول الله أنسي وراحتي وروحى وريحاني متى أخرق الحجبا
محمد محمود وأحمد حـــامد عليه صلاة الله ما طهّـــــــر القلبا
تأخر بعد الرسل وهو مقـــدم فضد بضـــــــد خير القلب واللبا
(الكولخي، ٢٠٠٨: ٢٥-٢٦)

وبعدما صلى عليه الشاعر واصل في سرد مدائحه إلى آخر القصيدة. ويفتتح الشاعر قصيدة حرف الضاد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قائلا:

على المصطفى المختار من معشر البيض صلاة وتسليم من الكل والبعض

فيصلي عليه أيضا في ثنايا أبيات القصيدة وقبل نهايتها في قوله:

نبي قبيل الكون وحّـــــــــد ربّه فصلت عليه الذات أحسن بذا الفرض
نبي عظيم خلقه وهو أحـــــــمد عليه صلاة من سمـــــــــــاء ومن أرض

ثم بعد أربعة أبيات تلي ما سبق من الأبيات يختم القصيدة بقوله:

على المصطفى والآل ثم صحابه صلاة وتسليم على حالة ترضى
(الكولخي، ٢٠٠٨: ٢٧)

ونلاحظ اختتام الشاعر قصيدة حرف الجيم مثنيا ومصليا وداعيا في قوله:

فصل عليه الله في كل طرفة عديد الحصى والرمل ما زحزح الهرجا
وصل عليه الله في كـــــل ذرة صلاة تحيط البحر والفلك والمـــــوجا
ويعطي عبيدا ما يروم وفوقه بجاه رسول الله من علّم الحـــــــــجا
عليه صلاة الله في كل حـــالة وآل وصحب ثم من حـــــــــازه زوجا
(الكولخي، ٢٠٠٨: ٣٥).

الأفكار الصوفية في المدح

ونعني بالأفكار الصوفية تلك المعاني والأفكار المتداولة والمشهورة بين الصوفية، والتي يعتبرونها حقيقة من الحقائق الكونية، وهي أفكار متأصلة ومؤيدة بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة، فنجد الشاعر يأتي بمثل هذه الأفكار الصوفية في سرد مدائحه للنبي صلى الله عليه وسلم مدحا وتبيانا لشخصيته ومقامه وإرشاد السالكين إلى معرفة حقيقته صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك فكرة الشاعر في اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة بين العبد السالك وربه وموصله إليه، فهو باب الوصل للمتحقق:

فإنك محراب الوجود ووجهه وإنك باب الوصل للمتحقق
(الكولخي، ٢٠٠٨ :١٢)

ويقول في بيت آخر أن المحبوب أوصله إلى ربه:

قد استأصل المحبوب كلي وجملتي وأوصلني والغيريات تولت

(الكولخي، ٢٠٠٨: ٢٩)

ومنها اعتباره الرسول صلى الله عليه وسلم أصل الوجود، وأنه كان رسولا قبل خلق آدم في قوله:

رسول من المولى وآدم لم يكن ويبقى رسولا دائما ومعظما

(الكولخي، ٢٠٠٨ :٧)

ويقول في بيت آخر:

رسول وأصل الناس ماء وجندل فلا إنس في ذاك الزمان مؤنسا

(الكولخي، ٢٠٠٨ : ٢٠)

ومما يعد من الأفكار الصوفية إيمان الشاعر برؤية الرسول لربه ليلة إسرائه، وذلك في قوله:

ترقى رقيا مستحيلا لغيره دنا فتدلى نيل خير حباء

رأى ربه حقا بعين وصورة وكل سوى هذا وراء وراء

(الكولخي، ٢٠٠٨: ٢٨-٢٩)

ومما هو قريب إلى المعنى السايق إقرار الشاعر برؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة في قوله:

فطه رسول الله مرسل ذاته نريد فلا سُعـــــــــــدى نروم ولا ريا

ولم لا وعيني قد رأيته يقظة بالحي الذي أهوى مدى الدهر والدنيا

(الكولخي، ٢٠٠٨ : ٣٢)

ومرة أخرى نرى الشاعر يأتي بمصطلح الخمر والسكر في أبياته المدحية، كعادة الصوفيين في استعمال كلمتي الخمر والسكر فيما بينهم، ولكن الخمر والسكر عندهم يختلف مما كان سائدا في أوساط متعاطي الخمر الحقيقي، فهما كناية عن الاشتغال بالذكر والمدح، يقول الشاعر متنازعا كأس الذكر بين أصحابه:

يحاضرني فتيان صدق قد أخلصوا إلى الله قصدا لن نموت ولن نحيا
تنازع كأس الذكر أصحاب شيـــخنا وذكر رســـــــول الله في أرفه المحيا
فطورا لوارد وطورا لصـــــــــــــادر وآونة للحي أحســـــــــــــن به سعيا
(الكولخي، ٢٠٠٨ : ٣٢)

ومرة أخرى نراه سكرانا بخمر حب الرسول ومدحه:

كفاني افتخارا أن شغفت بحبه سكرت بخمر من ودادك سابغ
(الكولخي، ٢٠٠٨ :٣١)

ويعلن في بيت آخر أن نبيذه وخمره هو سرد مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم:

نبيذي وخمري الدهر سرد مديحه وذلك حصني بل وجيشي لنصره
(الكولخي، ٢٠٠٨ : ٢٥)

العاطفة

تظهر جليا في قصائد هذا الديوان مهارة الشاعر اللغوية وقدرته الإبداعية الدقيقة ، وتمكنه من قرض شعر المدح النبوي وعمق محبته لممدوحه التي تؤثر في جميع نواحي حياته،ولذلك أتت عاطفته صادقة وقوية، وتتصف بالوضوح والعمق،استعمل الشاعر أساليب التعبيرالأدبي لإثبات صدق عاطفته والتي منها تكرير لفظة المحبة بألفاظ مترادفة لها كالغرام والشوق والمودة و الهوى مثل قوله :

أبى الفلب إلا أيكون متيّما * حليف غرام بالنبي مهيّما
(الكولخي، ٢٠٠٨ :٧)

وقوله:

فمن رام دركي في اشتياق نبينا *فقد رام أمرا مستحالا محرما
(الكولخي،٢٠٠٨ :٨)

وقوله :

أتاني هواه قبل أن أعرف الهوى صليت بنيران اشتياقي أحمدا

(الكولخي،٢٠٠٨ :١٠)

وقوله :

غرامي وشوقي للنبي ينشط قلامي وتجري في المديح وتفرط

(الكولخي،٢٠٠٨ :٣٦)

ومنها استخدام القسم بأنواعه فتراه يقول والله ، أوحلفت ،وحينا بواو القسم ، مثل قوله:

فوالله مافي القلب حظّ لغيره فغير رسول الله ليس لتعلما

(الكولخي،٢٠٠٨ :٩)

وقوله :

حلفت له بالذات إني أحبه ودادا صفيا فهو نهجي ومودقي

(الكولخي،٢٠٠٨ :١٢)

وقوله:

وإنك ختم الأنبياء فلا يرى نبي بعيد المصطفى القرم فيلق

(الكولخي،٢٠٠٨ :١٢)

فهذه الأساليب وغيرها جاء بها الشاعر لتعبير عن صدق عاطفته في المدح النبوي وهكذا تجد عاطفة الشاعر صادقة وقوية، تدمع لها العيون وتميج الشجون في جميع أشعاره (أبا غوني، ٢٠٢١ :٢٢٣).

ملامح الخيال في الديوان

الشيخ إبراهيم شاعر مفلق وهو ماهر في صياغة أساليب الخيال في شعره بصورة بديعة ورائعة من غير تكلف وذلك لأهداف منها: بيان مكانة ممدوحه الرفيعة ، وصفاته الطيبة، وأخلاقه المحمودة ، وشجاعته البرزة.

ومن أساليبه الخيالية في الديوان :أنّ الألفاظ التي يمدح بها النبي درر لجزالتها وفصاحتها وأنّ الممدوح بدر في العلو والرفعته وجمال الوجه ونضارته ،وأن حسن وصفه كدرر منظمة، وذلك كله على سبيل المجاز، والاستعارة، والتشبيه، في قوله:

أنظم درّ اللفظ في ذكر وصفه * وأحسن بوصف البدر درا منظما

(الكولخي،٢٠٠٨ :٧)

اشتمل البيت على هذه الصور الخيالية :المجاز العقلي بإضافة الدر إلى اللفظ مجازا (الهاشمي،٢٠٠٣م:٢٥٩)، والاستعارة التصريحية بذكر المشبه به للمشبه، وكذلك التشبيه البليغ حيث شبّه حسن وصف الممدوح بالدر المنظم، وفي البيت أيضا الجناس المطلق وفيه الكناية حيث ذكر الضمير للاسم.

ويهدف الشاعر من هذا التصوير الرائع الكشف عن مكانة الممدوح الرفيعة وأخلاقه وسيرته الطيبة بالطريقة الأدبية التي تدل على قدرته الإبداعية.

ومن الصور الخيالية التي وظّفها الشاعر في مدائحه تصويره الهمّ الذي يلمّ بالإنسان بجيش قوي ذي شكيمة، يتغلب على الإنسان فيكدر عليه عيشه ويتركه منهزما، لكن كلما نزل به هذا الجيش فإن نور يقين من الرسول صلى الله عليه وسلم يأتيه فيفرق شمل هذا الجيش حيث يقول:

إذا حل جيش الهم بدد شمله بنور يقين لا يريم فيا ملك

(الكولخي، ٢٠٠٨ :٢٨)

ومرة أخرى يطلق الشاعر على محبوبه صلى الله عليه وسلم الدرة البيضاء في صفاء القلب وجمال الجسم، وهو كذلك معدن تحقيق، أي معدن علوم الحقيقة التي ترشد العبد إلى معرفة ربّه، وذلك في قوله:

فهو الدرة البيضاء أول حامد ومعدن تحقيق وأول دامغ

(الكولخي، ٢٠٠٨ :٤١)

وإليك صورة أخرى استعان بها الشاعر لتصوير مدى حبه للرسول صلى الله عليه وسلم، وهي تصويره حب غيره في محسوسة، ترى وتلمس، وأخرجه من قلبه ورمى به في مكان سحيق أو في بحر عميق، فخلا بذلك قلبه

لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، وهي صورة جميلة تظهر فيها شخصية الشاعر واضحة كما ترى في البيت التالي:

نبذت ورب البيت حب سوائه ألا يا حبيب الذات سوئي ألا انبذي

(الكولخي، ٢٠٠٨ :٤٨)

شكر وتقدير

يزجي المؤلفان خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في هذه الدراسة إثراء لساحة البحث العلمي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

إقرار المصالح

يؤكد المؤلفان عدم وجود أي تضارب في المصالح.

الخاتمة

تتبعنا في السطور السابقة مدائح الشيخ إبراهيم انياس للنبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في ديوانه الأول، فألفيناها متميزة بخصائص خاصة ومنفردة لصاحبه، لم يسبقه إليها غيره من المادحين، وتلك الخصائص كما أوضحناها متمثلة في تحديته للمادحين في حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه له، الأمر الذي صار شغله الشاغل وحياته، وإبراز شخصيته في المدح، وذلك باستعمال ضمير المتكلم وياء الإضافة والإتيان بالدعاء في أثناء مدائحه جلبا للخيرات لنفسه وأصحابه أو دفعا للشرور، والإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سواء في افتتاح القصيدة أو وسطها أو آخرها، ثم التعبير عن الأفكار الصوفية في أثناء المدح. وردت تلك الخصائص في أبيات مدائحه موشحة بصور وأخيلة ممتعة ومكتسية بالأساليب المعانية المناسبة، ومزينة بالمحسنات البديعية الرائعة، فظل صيته عاليا في الآفاق وسار الركبان بمدائحه منشدين على مرّ الأيّام والليالي.

المصادر والمراجع

أباغوني، أ. ث. (٢٠٢١). شاعرية الشيخ إبراهيم انياس وشعره .*مجلة القرية العالمية، تصدر عن قرية اللغة العربية انغالا، نيجيريا*،(١) *(٢)* .

ابن بطل، أ. ح. ع. ع.(٢٠٠٥) .*شرح صحيح البخاري* (الجزء ٩). الرياض: مكتبة الرشد.

تيام إ ٢٥ . (٢٠٠٢). *سنة على رحيل الشيخ* (الطبعة الأولى). القاهرة: النهار للطبع والنشر والتوزيع.

الجراري، ع. (١٩٧٨). *الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه* (الجزء ١، ط. ٢). الرباط: مكتبة المعارف.

حمداوي، ج .(٢٠٠٧) *شعر المديح النبوي في الأدب العربي* (ط. ١). لبنان: منشورات المكتبة المصرية.

الكولخي، إ. ع. ن. (١٩٥٢) *كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس* (الطبعة الأولى). مصر: مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده.

الكولخي، إ. ع. ن.(٢٠٠٨) .*الدواوين الست* .بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.

الهاشمي، أ .(٢٠٠٣) .*جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع* (طبعة مجددة). بيروت، لبنان: دار الفكر.